

آراء

غزة وإعادة قراءة التاريخ

أياد الدليمي

لم يكن السابع من أكتوبر، يوم نجحت كتابتُ عن الدين القسام في اقتحام مواقع الكيان الإسرائيلي المحاذية لقطاع غزة، سوى بداية معركة أرادها مفجّروها أن تكون مرحلة جديدة من مراحل الصراع الفلسطيني ضد الكيان الغاصب، فمنذ ذلك اليوم وهناك محاولة شعبية عالمية لاستعادة القضية الفلسطينية بتفاصيلها الممتدة منذ أكثر من 75 عاماً. قطعاً لم تكن آلة الإجراء الإسرائيلية غائبة عن منفذي عملية طوفان الأقصى، وهم الأقدر على فهمها بسبب طول الصراع وتعدد مراحل وأشكاله، وهم الأكثر قدرة على فهم هذا العدو القابع خلف ترسانته المسلحة والمتدرّج بالعالم الغربي الذي طالما وقرّ له كل أسباب البقاء والتفوق على الخصم، عربياً كان أو فلسطينياً على مرّ مراحل الصراع.

لكنّ، كان لا بد مما ليس منه بدّ، فانت أمام وكدو كان يعلن ليل نهار خططه ومشاريعه في تهجير أهالي غزة والضفة الغربية، وكان ينتظر الوقت المناسب والتوقيت الذي يراه هو، مستفيداً مما اعتقد، بضعف إمكانات المقاومة الفلسطينية التي جرّدها من كل شيء في الضفة الغربية، وحاصرها 17 عاماً في غزة، وكان يطبخ مخططاته على نار هادئة. غير أن الفعل المقاوم هذه المرّة باغته في اللحظة التي لم يكن يحسبها، لتبدأ جولة أخرى من جولات الصراع بين صاحب

الحقّ والمعندي، بين ابن الأرض التي سلبت منه وذاك الغريب الذي استوطنها، وما حسب أن هذه الجولة ستكون مختلفة، فجاء بعدته وعتاده مدعوماً بسبل من الأكاذيب التي مرّرها للغرب الذي لحق به على عجل، فكان أن حاول هذا الكيان أن يربط بين «حماس»، الحركة السياسية المعترف بها وانتخبها الشعب الفلسطيني في الانتخابات التشريعية عام 2006، وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وكأنه يريد أن يقول للعالم إن مهمتكم في محاربة «داعش» لم تنته بعد.

لم تتأخّر أميركا في أن تتقدم الصفوف، ومعها كثير من الغرب، في دعم الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، كما يزعمون، بل كانت أميركا، في أحيان كثيرة، بالنها الدعائية وقوتها الاقتصادية، متفوّقة حتى على دولة إسرائيل، حتى وصل الحال إلى تبني روايات إسرائيلية أجمعت صحفٌ عبرية عن تبنيها. غير أن العالم تغتّى، ويبدو أن ذلك ما لم تحسب له إسرائيل وأميركا حساباً، فلم يعد المواطن الغربي والأميركي خاضعاً لسطوة الإعلام الغربي، وروايته الأحادية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فكان أن بدأ سيل من المنشورات عبر المنصات الرقمية التي أحيت من جديد تفاصيل القضية الفلسطينية. وقد تحوّلت هذه المنصات الرقمية إلى واحدة من أهم وسائل الإعلام المؤثرة على المواطن الغربي، بدليل أن هناك موجة تعاطف شعبية

كبيرة في عواصم تلك الدول لم يشهد لها التاريخ مثيلاً. قد لا يرى بعضهم في هذه الموجة حالة عاطفية تزول بزوال المسبّب، وهو العدوان الإسرائيلي على غزة، ولكن حقيقة الأمر تشي بأكثر من ذلك، فلقد بدأ المواطن الغربي يبحث في حثبات الصراع في فلسطين، ويتعرّف عن قرب على القضية التي أشغلت العالم منذ أربعينات القرن الماضي، وهو هنا لم يعد أسيراً لتلك السردية التي طالما قدّمت له عبر وسائل إعلام عُرف عنها انحيازها التام والكامل للسردية الإسرائيلية. بالتالي، وأمام هذا التداعي الكبير في التعامل مع القضية الفلسطينية غربياً، سنكون إزاء حالة من الهذيان الإعلامي التي حاولت، طوال الأسابيع الأربعة الأولى من هذا العدوان، أن تسوّقها بعض وسائل إعلام غربية وأميركية تمتلك العديد منها كبريات العائلات اليهودية عبر العالم، لتصل إلى مرحلة تهاقّت أكبر في محاولتها لإقناع مواطنها بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، خصوصاً مع هذه الهمجية الكبيرة والغطرسة الفجّة التي تعاملت بها قوات الاحتلال الإسرائيلي مع المستشفيات والمدارس والمخيمات.

نحز اليوم إزاء محاولة متعدّدة الأشكال من المواطن الغربي والأميركي لفهم طبيعة الصراع لم يقتصر الأمر على تظاهرات كبيرة جابت عواصم تلك الدول ومدناً كثيرة فيها، وإنما تعدّى الأمر إلى محاولة فهم الدين الذي يتبناه أهالي غزة، ومحاولة التعرّف

” **لم تعد غزة اليوم مجرد ارض تتعرّض لعدوانٍ همجي وسافر، وإنما حالة سيكون لها ما بعدها، وتداعيات مستقبلية لا أحد يعرف أين ستقف**

على العرب عموماً، ومحاولة اكتشاف السرّ في سبب صمود أهالي غرّة بوجه هذه الهائلة الكبيرة من الغطرسة العسكرية التي تمارسها إسرائيل. لم تعد غزة اليوم مجرد أرض تتعرّض لعدوان همجي وسافر، وإنما هي حالة سيكون لها ما بعدها، وتداعيات مستقبلية لا أحد يعرف أين ستقف، فمع هذه الوحشية الإسرائيلية في التعامل مع أهلها ومع هذا الإصرار والصمود، باتت أسئلة كثيرة تُطرح في الغرب، تحتاج

مقاومون خرجوا عليهم من تحت القصف

” **رجال المقاومة الذين خطّطوا للهجوم، ورتبوا المواقيت، واختاروا لحظات الزمن الفلسطيني المضيء، ادركوا ان ردّة فعل عدوهم ستكون بحجم هزيمته**

” وأن شباب غزة يهاجرون منها بالآلاف، وأن الأوضاع الداخلية في غزة قد تنفجر في وجه رجال المقاومة، وأن الحياة قد ضاقت على أهل غزة، مع عجز لجنة متابعة العمل الحكومي في غزة عن صرف رواتب الموظفين، التي كانت تتأخّر حتى 22 من الشهر، لنصرف إلى موظفي غزة بنسبة 50% فقط، في عملية تمويه رهيبة على تحركات المقاومة السرية. وفي تلك الليلة الموعودة، عشية اقتحام

من الطعام، وبعض الماء، كي يعتاد المقاوم على حياة الغربة، والابتعاد عن البيت، وكي يعتاد على ظلمة النفق، والصبر والجلد في الملمات، ولم أشهد مناورة واحدة يهرب فيها المقاوم الفلسطيني من المواجهة، أو يولي الأدبار. كانت كل المناورات العسكرية في غزة تحاكي الخروج من فتحة النفق، ومن تحت الأنقاض، وسط القصف والدمار، لبيدا الهجوم والاقترام. في تلك اللحظة من الزمن الفلسطيني، ورجال المقاومة يتدربون على القتال ليل نهار، ويستعدّون، ويحشدون السلاح من هنا وهناك، ويشحذون سلاحهم بالعزم المتراكم في النفوس المقهورة. كان الجنود الإسرائيليون يهزّبون من التجنيد في سلاح المشاة، وكان معظم الشباب الإسرائيلي يتسابق إلى التجنيد مع سلاح الإلكترونيات، للاكتفاء بالضغط على الأزرار، من دون تكلفة أنفسهم عناء التدريب البدني، والجهد العضلي، والخشونة العسكرية، التي ميّزت رجال المقاومة الفلسطينية.

وقبل تنفيذ هجوم 7 أكتوبر العسكري التاريخي الذي جسّد إرادة الإنسان العربي، وجسّد قدرة الإنسان الفلسطيني على ابتداع وسائل المقاومة، بما فيها التي لم تخطّر على بال العدو، الذي أطبق بحصاره الخائف على قطاع غزة، حيث التفتيش الإسرائيلي للديمقراطي والإلكتروني لكل شحنة غذاء تدخل، وحيث المراقبة المكثفة من الطائرات المسيّرة لكل حركة على أرض غزة، وحيث البوارج الحربية التي نراها بالعين المجرّدة، وهي تقف كالنواظير

فايز ابو شمالة

حضرثُ أكثر من مناورة عسكرية لرجال المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، كلها كانت تحاكي هجوماً على مواقع إسرائيلية، تبدأ المناورة بقصف الصواريخ والراجمات على هذه المواقع، مع خروج الشباب المقاوم من أنفاق تحت الأرض، يحملون القذائف المضادة للدبابات، ويبدأون بإطلاق النار بغزارة باتجاه الصواريخ الخُنْد والمدرمعات، في عملية اقتحام جريئة للمواقع، ليتم السيطرة عليها، وأخذ من ظلّ فيها على قيد الحياة أسيراً. ظلّ رجال المقاومة الفلسطينية يتدربون على اقتحام المواقع العسكرية الإسرائيلية سنوات، تدربوا على إطلاق النار من الرشاشات، ولا أبالغ لو قلت: إن أقلّ مقاوم أطلق من رشاشه مئات الرصاصات وقت التدريب، ولا أبالغ لو قلت: إن معظم المقاومين أطلق عشرات من قذائف الهاون، وعدّة قذائف من سلاح الكورنيت والياسين، في اتجاه جسّم الدبابات الإسرائيلية، ولا أبالغ لو قلت إن معظم رجال المقاومة اعتلّوا أسطح العربات المحنّزة، وفجّروا جسّم الدبابة التي تحاكي «أميركافا»، وأطلقوا الرصاص في المناورات على من في داخلها. كان التدريب على اقتحام المواقع العسكرية الإسرائيلية شاقاً وصعباً، وكان مكلفاً ومرهقاً من كل النواحي، بما في ذلك التدريب على مكوث المقاومين داخل الأنفاق فترة طويلة، زأُدّم آيات من القرآن، مع قليل

حُدِّجْ غرّة... هل فهمنا الدرس؟

غازيا دحمان

هزمتنا غرّة، بخدّجها وأطفالها ونسائها، وبكاء رجالها وهم يودعون أحبّتهم، وهم يتوشلون الأطباء إنقاذ أطفالهم. سحقتنا غرّة بشرا وأذلّتنا عربياً، بتوخّش زعران إسرائيل وموت ضمير العالم. هل يُعقل أن ترسانة القوايين الدولية، وهذا الكم الهائل من التنظير الأخلاقي العالمي، لم يستطع إنقاذ حُدِّجْ غرّة، ولا يوفّر قطرة ماء لأطفالها العطشّ؟

ولكن حرب غرّة، أيضاً، حوّلت مفاهيم ومسلّمات وقيم إلى مجرد غبار، فقدت تماسكها ومنطقها، بعدما كشفت أنها بالأصل لم تكن قد تجاوزت مرحلة الخداج، رغم ادّعاء الخبرة البشرية المديدة في إدارة الأزمتا، ودرجة التحضّر والتنظيم التي وصلت إليها البشرية وتحميمها من الانزلاق إلى السلوك المهجي، وتردّد كل من يحاول التصرّف بخلاف ذلك، كل ما سبق لم يكن سوى عدّة تنظيرية كشفتها حمم قنابل إسرائيل على جسد غرّة. لعل أول ضحايا حرب غرّة هو المجتمع الدولي، ذلك لأن هذا المصطلح لم يعد له وزن، لا واقعي ولا أخلاقي، ما دام لم يمتلك القدرة على إنقاذ أكثر من مليونين من البشر يجري التنكيل

بهم تحت نظره وسمعه، وكان يُحكي في السابق عن عجز المجتمع الدولي عندما يجري الحديث عن فشل التوصل إلى حلّ للقضية الفلسطينية، رغم وجود قرارات واضحة وصريحة عن مجلس الأمن، تحدّد شكل الحل وطبيعته، لكننا اليوم أمام حالة أكبر من العجز، بل حالة موات فعلي ومعلن، صحیح أن شوارح كثيرة في العالم شهدت مسيرات شعبية غاضبة على حفلة الجنون الإسرائيلية، لكن هذا رأي عام، أما المجتمع الدولي فهو نادي الحكومات والدول.

العالم العربي هو الضحية الثانية الذي ان أوأن تأبينه، وقد ثبت، باللموس والمؤكّد، أنه قد خرج من دائرة الفعالية منذ زمن بعيد، وما يوجد اليوم ليس سوى دول ناطقة بالعربية لكل منها مشاريعها المنفصلة وتوجّهاتها المختلفة. أما ما يُقال عن سياسات وتوجّهاتٍ عربية، فهي لا تعدو أن تكون قوالب إعلامية ليس لها من يوازئها من أفعال وسلوكيات على أرض الواقع. لو كان هناك فعلاً عالم عربي لما استطاع الصهبانية التمنّر عليه جهاراً نهاراً، ولو كان هناك عالم عربي من المحيط إلى الخليج لضغطت واشتغلن بكل قوتها على إسرائيل، أقلّه لتجسيد المدنين عن الحرب الشعواء التي تشنها على غزة، أو حتى لحماية المستشفيات، وعدم انتظار

حكومة تنتباهو، التي يشكو الإسرائيليون أنفسهم من تطرّفها، حتى تأتي بالدليل القاطع على وجود قيادات «حماس» داخل المستشفيات.

ربما من الصعب معرفة النتائج النهائية للحرب في غزة، وطبيعة المشهد والمخرجات التي ستؤول إليها هذه الحرب، لكن الأكيد أن هناك تحوُّلاً خطيراً في موازين القوى على الصعيد الإقليمي لصالح إسرائيل وأميركا، بعدما تم التسليم لهما بإدارة الحرب على هواهما، كما أن هناك مشهداً جديداً للقضية الفلسطينية يجري العمل على إخراجه، بناءً على معطيات الواقعين العربي والدولي الراهنين، فهذه فرصة مثالية لإعادة تركيب الموضوع الفلسطيني وإعادة تعريفه بناءً على المؤثرات الإسرائيلية والأميركية الجديدة، بوصفهما اللاعبين الأكثر قدرة في الوقت الحالي على التأثير والفعالية.

وسيتّم رسم أدوار الأطراف الأخرى وحدودها ومدى فعاليتها بناءً على حجم تجاوبها مع التحولات التي سيصنعها الطرف المذكور، الذي لديه القدرة الكبيرة على دمج خططه ومشاريعه في سياق هندسات إقليمية ودولية يجري العمل عليها، وخصوصاً أن المنطقة في المرحلة الحالية تقع تحت تأثيرات مشاريع جيوسياسية ضخمة، تنخرط

المكاتب
المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
مكتب الدوحة
الدوحة - برج الفردان | لوسيك، الطابق ال 20 -
هاتف: 0097440190600

المستوطنات الصهيونية، كان قطاع غزة يموج بحركة سريعة للمقاومين، كان الشباب يرتدون ملابسهم العسكرية سرّاً، ويتوجّهون إلى مواقع التدريب، وكانهم يمارسون تدريباتهم اليومية. رجال المقاومة الذين خطّطوا للهجوم، ورتّبوا المواقبت، واختاروا لحظات الزمن الفلسطيني المضيء، ادرِكوا من البداية أن ردّة فعل عدوهم ستكون بحجم هزيمته. ولذلك أعدّوا أنفسهم جيداً للدفاع عن القطاع، وقد تفوّقوا ما هو أكثر. لقد ربّبوا أنفسهم على حرب المدن فترة طويلة، لقد درّبوا رجالهم على الصبر، والثقة بالنفس، لقد تدربوا على الحياة تحت قصف الطائرات الإسرائيلية، وتدربوا على الجوع، وهم يربضون في الأنفاق عدة أسابيع، طعامهم نصف حبّة تمر، وجرعة ماء، وسلاحهم الإرادة، والجاهزية للتضحية، لا تشغولهم الدنيا عن تقديم الروح فدء للوطن، ولا يحملون إلا بنصر عزين، يزلزل أركان عدوّم الذي اغتصب أرضهم، وأذاق أهلهم ويلات الهجرة، وعذابات الموت المبطيء تحت سياط الاحتلال. غرّة قادرة على الصمود والمقاومة شهوراً، ولكنها بحاجة إلى رفيف خبز من سلة غذاء الأمة العربية، وإلى شربة ماء من الأمة العربية التي يجري في عرونها نهر النيل ونهر دجلة والفرات. غرّة بحاجة إلى الوقوف، من أمة عربية تصدّر الخط والغاز إلى كل الدول، غرّة بحاجة إلى شباب أمتها العربية.

(كاتب فلسطيني)

” بعد الحرب»، هذا البعد؟ بمعنى هل سيصار إلى اقتراح مبادرات ومسارات جديدة للحلّ على شاكلتها اتفاقيات السلام في تسعينيات القرن الماضي في الشرق الأوسط على خلفية الحرب في العراق، أم أن الأمر لن يصل إلى هذا الحد، وسيتمّ إسناد مهمة جبر خواطر الشعوب للأنظمة السياسية، والتي يمكن أن تقاربها بسياسات أكثر تشدداً وقمعا، على اعتبار أن الشعوب العربية لا يليق بها التبديل والتدليع؟
المؤكّد أن حرب غرّة حملت إجابات لأسئلة طرحتها جروح مفتوحة على مدار عقد مضى، شهد سحق أحلام الملايين وطموحاتهم، بل وقتل الملايين وتشريدهم، عن الضمير العالمي وأخلاق السياسة، والأهم من ذلك كله عن المخرج من هذه الانسدادات الرهيبة التي وصلت إليها الأمور، وعن عالم يتغيّنى صباحاً بتحضره ويتوافق في المساء مع طغاة الأرض بذريعة الواقعة طوّراً والمصالح دائماً. لأن لنا الخروج من حالة الخداج السياسي، ونتعلم من الدرس العسكري الذي يقول إن الوقوف في مدى رماية الدبابة انتحار مجاني، والأفضل دائماً استخدام الروايبا العمياء والخواصر الرخوة، سواء كان الخصم مستبذداً داخليا أو عدواً خارجياً.

(كاتب فلسطيني في فرنسا)

مكتب بيروت
بيروت - الجزيرة - شارع باستور - بناية 33 west end
هاتف: 009611567794 - 009611442047
البريد الإلكتروني:
Email: info@alaraby.co.uk
للشراكات:
alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 0097440190635
جوال: +97450059977
للإعلانات:
alaraby.co.uk/ads



تصدر عن شركة فضاعات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)